التمهيد

عرض موجز

لنشأة الدبلوماسية الإسلامية والعربية

- التعريف بالدبلوماسية الإسلامية .
- إنطلاقة الدعوة الإسلامية من مكة المكرمة والمدينة المنورة .
- السفراء الذين حملوا الكتب المرسلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء وردود الفعل تجاه تلك الرسائل .
- دور الحجابة في تحديد العلاقات بين الحاكم والمحكوم .
- أهداف ومميزات الدبلوماسية الإسلامية في العصور الأولى وتطورها حتى الدولة السعودية المعاصرة .

obeikandl.com

obeikandl.com

التعريف بالدبلوماسية الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

التعريف بالدبلوماسية الإسلامية:

إن كل دبلوماسية تخدم الأهداف الكبرى التي تحددها الدولة على الصُعد الخارجية، والمجالات العالمية، وتتخذ لذلك كل الوسائل المناسبة، حتى تكون سياساتها الداخلية والخارجية ناجحة ومتميزة أمام الدول الأخرى.

لذا فإن الدبلوماسية هي أسلوب استخدام العناصر المختلفة لقوة الدولة، وإذا توافرت للدولة جميع أو معظم أو بعض عناصر القوة المادية والمعنوية، فهذه العناصر قد تبقى ساكنة إذا لم يتوافر لها الجهاز الدبلوماسي القادر على تحريكها، والتعامل بها في البيئة الدولية، بما يحقق أفضل النتائج.

كانت الدبلوماسية التقليدية وقفاً على شعوب تجمعها رابطة الدين والحضارة والعقيدة ونظام الحكم والوحدة الجغرافية مثل: «الإغريق والرومان والإيطاليين والفرنسيين والأسبان وغيرهم من تلك الدول»[1].

وكلمة الدبلوماسية في أصلها اليوناني القديم مشتقة من كلمة (دبلوم) (Diplom)، ومعناها يطوي أو يثني، ومنه جاء اسم تلك الوثيقة أو المكاتبة الرسمية التي تطوى أو تثنى والتي عرفت باسم (Diploma)، أو التي كان يبعث بها الحكام وأصحاب السلطان بعضهم

(1) انظر حسن رشوان: الدبلوماسية الحديثة، مجلة الدبلوماسي، العدد 15، ذو الحجة 1412هـ، ص45.

إلى بعض في علاقاتهم الرسمية، وكانت تخول لحاملها امتيازات ومعاملة خاصة، أثناء سفره لأداء المهمة الملقاة على عاتقه.

إذاً فإن الدبلوماسية لا تقوم بوضع السياسة، ولكنها تقوم بتنفيذها؛ فهي إدارة العلاقات الدولية بواسطة المفاوضات والأساليب التي في إطارها أو بواسطتها يتم تعديل إدارة هذه العلاقات عن طريق السفراء أو المندوبين السامين، وهذا هو عمل الدبلوماسي. لذلك فإن الدبلوماسية تشترط المعرفة التامة بأصول المفاوضات المتميزة بالصبر بلا حدود، من أجل الوصول إلى اتفاقية مقبولة من الأطراف المعنية[1].

والدبلوماسية علم من حيث كونها قديمة قدم الشعوب نفسها، وعرف نظامها وتطبيقاتها منذ فجر التاريخ، واتضح أثرها في تسيير العلاقات بين وحدات المجتمع البشري وتوجيهها نحو التعاون والاستقرار. وعلم الدبلوماسية يعني الإحاطة بخفاياها وأبعادها المختلفة، والإدراك الكامل لوزن أطرافها، ومواطن القوة والضعف لدى كل منهم، اقتصاديّاً وثقافيّاً وعسكريّاً، وأن تكون لدى القائم عليها والممارس لها خلفية ثقافية علمية متشعبة الجوانب، تؤهله للأداء الموفق للمهمة الدبلوماسية[2].

هذا بعض ما ورد من تعريف للدبلوماسية التي تسعى دائما

(1) بكري عمر العمري، وحيد حمزة هاشم: السياسة الخارجية السعودية بين النظرية والتطبيق (جدة، ط1، مكتبة مصباح، 1410هـ/1990م) ، ص66.

(2) إبراهيم محمد العناني: ندوة الدبلوماسية في المجتمع المعاصر، معهد الدراسات الدبلوماسية بالرياض، ص2.

لاستثمار عوامل القوة والمهارة والصبر، التي من خلالها يكتسب الدبلوماسي الماهر أي عمل دبلوماسي يقوم به لصالح دولته، فهو الركيزة التي من أجلها قام بمهمته لإقناع الطرف الآخر بوجهة نظره في قضية ما، وربما أطفأ نار الحرب المشتعلة بقوة حجته وحنكته الدبلوماسية، وبعُد نظره لدقائق الأمور، وألمعيّته ورجاحة عقله، وإن لم تتوافر في المبعوث تلك الشروط، فربما يتسبب في سوء العلاقات وإشعال نار الحرب.

أما الدبلوماسية الإسلامية خاصة، فإنها تخدم أهداف الدعوة إلى الله، بالتبصير بالإسلام، ودعوة الناس كافة إلى اعتناقه، والدعوة إلى السلام والتعايش السلمي.

ومن الأدلة على ذلك دعوة النبي ﷺ لقريش، وما لقيه من قومه وهجرته وأصحابه إلى المدينة المنورة وتأسيس الدولة الإسلامية، ثم ما كان في صلح الحديبية من دبلوماسية إسلامية، خلال المفاوضات التي دارت بين رسول الله ﷺ، وقريش واختيار عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ رسولاً إلى قريش بعد خراش بن أمية الخزاعي، ثم أرسلت قريش رسلها، وكان آخرهم سهيل بن عمرو بعد بديل بن ورقاء الخزاعي، وعروة بن مسعود الثقفي، حيث أكد رسول الله ﷺ أنه إنما جاء معتمرا، وقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام لبديل بن ورقاء الخزاعي: «إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد أنهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس» فقال بديل: سأبلغهم، ثم جاء إلى قريش فأخبرهم بذلك،

ونقل إليهم ما رأى وما سمع، وأن دعوة النبي ﷺ هي دعوة إلى السلام ونبذ الحرب، فقد قال ﷺ: «فوالذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظّمون فيها حُرمات الله إلاّ أعطيتهم إياها». وتم صلح الحديبية.

وكذلك عندما أرسل رسول الله ﷺ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة وعبدالله بن رواحة، إلى يهود بني قريظة يستجلي موقفهم من العهد الذي كان بينه وبينهم، وذلك في وقت كانت فيه قريش وأحلافها من غطفان وغيرهم يحاصرون المدينة، كانت رسالة النبي ﷺ إلى بني قريظة رسالة وفاء وتذكير بالعهد الذي عاهدوه عليه على لسان رئيسهم كعب ابن أسد القرظي، إلا أن بني قريظة نقضوا العهد بعد أن تدخل عندهم حُيي بن أخطب.

ثم ما كان بعد ذلك من دعوة ملوك وأمراء العالم المجاور مثل كسرى وهرقل والنجاشي والمنذر والمقوقس وغيرهم، وكانت الدعوة إلى الإسلام: أسلِم تسلمْ، وما جاء في تلك الرسائل، وما دار من محادثات ومفاوضات بين سفراء النبي ﷺ وبين الملوك والأمراء المعنيين بتلك الرسائل من دبلوماسية ترتكز على الصدق في القول، وعدم المراوغة أو الكذب[1].

فإذا كانت تلك هي الأهداف العظيمة من الدعوة إلى الإسلام، وإقامة السلام، فإن وسائل الوصول إلى هذه الأهداف ودبلوماسيتها لن تكون إلا نبيلة وفاضلة، وصادقة ووفية، لا غش فيها ولا كذب ولا

(1) يمكن الرجوع للرسائل في الصفحات التالية من صفحة 81 وما بعدها حتى صفحة 95.

بهتان. تُقدم للطرف الآخر الحقائق واضحة ناصعة، ناصحة مرغبة مرهبة، تبشره بالخير، وتنذره مغبة الكفر والجور والظلم. تدعو إلى كلمة سواء لا تغدر وتؤكد العهود وتفي بالعقود، ولا تخون، ولا ينبغي لها ذلك وذلك معنى قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾[1]. فهي إذن دبلوماسية أخلاقية، لأنها تخدم رسالة الأخلاق والحق والعدل.

ولذا يمكن أن نستخلص من قصة مفاوضات الحديبية، ورسالة النبي ﷺ إلى بني قريظة وإرسال السفراء الذين حملوا رسائل رسول الله ﷺ إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة، النتائج والمميزات الآتية:

أولاً: الاهتمام بإقناع الطرف الآخرعن طريق الصدق والحق وبكل الوسائل المشروعة وبذل كل جهد ممكن في سبيل ذلك. فالدبلوماسية الإسلامية إذن: دبلوماسية تتحرّى الإقناع بالحق والصدق.

ثانياً: الصبر في المفاوضات للوصول إلى نتيجة مرضية، فهي دبلوماسية صبور، حتى تصل للهدف المنشود.

ثالثاً: اختيار الرجال الثقات الأكثر قبولاً عند الطرف المقابل، وهذا ما يفسر اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه، عندما بعثه النبي ﷺ لقريش لمكانة عثمان منهم وفي بني عبد مناف، كما يفسر تكليفه ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ـ زعيمي الأنصار حلفاء يهود بني قريظة ـ

(1) سورة الأنفال: الآية (58).

للقيام بالسفارة إلى بني قريظة وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيماً ولا توصه

رابعاً: الثبات والمرونة، أما الثبات فيمثله كون النبي ﷺ كرر على رسل قريش نفس القول الذي قاله لبديل بن ورقاء، وهو المبعوث الأول لقريش أما المرونة فيمثلها استعداد النبي ﷺ لقبول أي خطة تعظم فيها الحرمات وتصان فيها الدماء، ويحترم فيها الحرم، ولو كان ذلك خسارة في ظاهرها، وقد كانت معاهدة صلح الحديبية في ظاهرها لصالح الطرف الآخر، إلا أن عاقبتها كانت لصالح الإسلام والمسلمين. ﴿ .. وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

لقد تميزت الدبلوماسية الإسلامية في بداية عهدها بأنها دبلوماسية المهمات المؤقتة، التي يقابلها حالياً ما يعرف بالبعثات الخاصة، أي البعثة التي يتم إيفادها لأداء مهمة خاصة وقتية.

إن على رأس المهام التي كان يباشرها مبعوثو الدولة الإسلامية، كسب المؤيدين والأنصار، والحث على تجنب أسباب التوتر والعداء، بالسير على هدي تعاليم الإسلام، وإلى جانب هذه المهمة الجوهرية انطوت الدبلوماسية الإسلامية على العديد من المهام، مثل: متابعة الأحوال والتطورات والأوضاع في البلد الموفد إليه المبعوث، ورفع تقرير

(1) سورة القصص: الآية (83).

بذلك إلى قادة الدولة الإسلامية حتى يتمكن هؤلاء القادة من تحديد مواقفهم ورسم سياستهم تجاه هذا البلد[1].

ولا عجب أن جاء الإسلام وافياً بمطالب الحياة كلها في كل عصر إلى يوم الدين، فهو الرسالة الإلهية التي امتدت إلى الآفاق وشملت جميع شؤون الحياة.

ورسالة عالمية هذا شأنها، تكون الدبلوماسية الحكيمة من ثوابتها في مخاطبة أجناس البشر جميعاً، والسياسة الراشدة في طرق الاتصال بهم[2].

هذا شيء من التعريف بصفات ومميزات الدبلوماسية في الإسلام، وسبل ازدهارها وتطورها على مر العصور.

(1) إبراهيم محمد العناني: أسس ومبادئ الدبلوماسية في الإسلام، ص 6 ـ 7.

(2) مناع القطان، محاضرة بعنوان: الدبلوماسية الإسلامية ومتغيرات العصر، ص7.

obeikandl.com

obeikandl.com

انطلاقة الدعوة الإسلامية من
مكة المكرمة والمدينة المنورة

obeikandl.com

obeikandl.com

انطلاقة الدعوة الإسلامية من مكة المكرمة:

انطلقت الدعوة الإسلامية من مكة المكرمة، حيث كان رسول الله ﷺ يدعو الناس سرّاً إلى الإسلام، وقد جعل من دار الأرقم بن أبي الأرقم بالصفا مكاناً يلتقي فيه بأنصار الدعوة، وكان أول من أسلم من الرجال أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ثم أخذت أعداد الذين يدخلون في الإسلام تزداد يوماً بعد يوم، حتى وصل عددهم إلى أربعين رجلاً، كان من بينهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

لقد كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم هي منطلق الدعوة في أيامها الأولى، وفي أحرج الأوقات التي مرت بها الدعوة السرية التي استمرت قرابة ثلاث سنوات. وبإسلام حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ قويت الدعوة، بعد أن أعزّها الله بإسلامهما، لما لهما من هيبة ومكانة عند قريش[1].

وعندما أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بالدعوة جهراً في قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]، امتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه، وخرج مع أنصاره من دار الأرقم بن أبي الأرقم، واتجهوا صوب الكعبة المشرفة، حيث أدوا الصلاة جهراً أمام أنظار قريش وأسماعها ومن كان معهما.

وبذلك انتقلت الدعوة من المرحلة السرية إلى المرحلة الجهرية،

(1) الحافظ بن كثير: البداية والنهاية (بيروت، مكتبة المعارف، 1409هـ / 1988م)، ج3، ص38.
(2) سورة الحجر، الآية (94).

وذلك في بداية السنة الرابعة من البعثة، ولم تمر هذه المرحلة بسلام، إذ لقي رسول الله ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ الكثير من الأذى والبطش الشديدين من كفار قريش في بداية هذه المرحلة[1].

وبالتوجيه الإلهي الكريم بدأ ﷺ بعشيرته الأقربين، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. فأتى النبي ﷺ جبل الصفا فصعد عليه، ثم نادى (يا صباحاه) فاجتمع الناس بين رجل يجيء إليه ورجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: (يا بني عبدالمطلب، يا بني فهر، يا بني كعب. أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟) قالوا: نعم، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟[3]. فأنزل الله عز وجل في شأنه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[4].

وتوالت المضايقات والادعاءات الباطلة ضد رسول الله ﷺ، والتعذيب لأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ والتنكيل بهم وهم صابرون محتسبون ذلك عند الله، عن عروة بن الزبير، قال: سألت عمرو بن العاص قلت: حدثني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه

(1) الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص 38.
(2) سورة الشعراء، الآيتان 214 ـ 215.
(3) الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص39.
(4) سورة المسد، الآية (1).

في عنقه فخنقه فأقبل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ[1]. ثم قال أبو بكر: يا قوم: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله.

ثم إن قريشاً تآمروا على من كان في القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم، وبني عبدالمطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الدفاع عن رسول الله ﷺ إلا ما كان من أبي لهب، فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه من جدهم معه، وحدبهم عليه، جعل يمدحهم، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم ومكانه منهم.

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله، ثم بعمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة! فإن بها ملكاً لا يُظلم أحد عنده، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه! فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله عز وجل بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، وكان عددهم عشرة، وتتابع

(1) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، (ط1، بيروت، دار الفكر، 1401هـ /1981م)، ج4، ص240.

المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له وبلغ عدد الرجال بعد ذلك اثنين وثمانين رجلا[1].

ولما خرج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مهاجرين إليها ورسول الله ﷺ مقيم بمكة يدعو إلى الله سراً وجهراً، وقد منعه الله بعمه أبي طالب وبمن استجاب لنصرته من عشيرته، ورأت قريش أنه لا سبيل لهم إليه، رموه بالسّحر، والكهانة، والجنون، وأنه شاعر، وجعلوا يصدون عنه من خافوا منه أن يسمع قوله فيتَبعه. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[3].

ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً به أمْن وقرار، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه ـ مع رسول الله ﷺ، وجعل الإسلام ينتشر في القبائل، اجتمعوا واتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبدالمطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم. اجتمعوا لذلك وكتبوه في صحيفة، تعاهدوا

(1) محمد بن جرير الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك (الطبعة الأولى، دار الكتب العالمية 1407هـ / 1987م) ج1، ص545 ـ 546، وفي سيرة ابن هشام، ج1، ص357 ـ 361، وساق سنده الحاكم.

(2) سورة الحجر، الآية (6).

(3) سورة ص، الآية (4).

وتواثقوا عليها، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيداً على أنفسهم.

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلّت بعض أصابعه. فلما فعلت ذلك قريش، انحاز بنو هاشم وبنو عبدالمطلب إلى أبي طالب بن عبدالمطلب، فدخلوا معه في شعبه، واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبدالعزى بن عبدالمطلب إلى قريش فظاهرهم، فأقاموا سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، لا يصل إليهم شئ إلا سراً مستخفياً به من أراد وصلهم من قريش.

ويأبى الله إلا أن ينصر نبيه، حيث فرج الله كربة المسلمين، إذ بعث فيهم نفراً من قريش من ذوي النخوة والمروءة، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو، فقد سار إلى بعض كبار قريش الذين يعرف عنهم عدم الرضا لما أصاب بني هاشم، وأشعل فيهم الحماسة، فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلت الصحيفة، ولم يبق منها إلا كلمة (باسمك اللهم)[1].

ولقد كان لهذه المساعي أثرها فخرج بنو هاشم وبنو عبدالمطلب من الشعب، وانجلت عن المؤمنين الغمة، ولم تمض إلا فترة قصيرة بعد نقض الصحيفة حتى فجع رسول الله ﷺ بوفاة أقوى سندين له من أذى قومه في دعوته، عمه أبي طالب، وزوجه وساعده الأيمن خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ فإن خديجة بنت خويلد ـ رضي الله

(1) عبدالسلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام (الطبعة الرابعة، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة 1402هـ/1982م)، ص79 ـ 80.

عنها ـ وأبا طالب توفيا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بوفاة خديجة، وكانت له رفيقة صدق على الإسلام، يشكو إليها، وبوفاة عمه أبي طالب الذي كان له ـ بعد الله ـ عضداً وحرزاً في أمره، ومنعة وناصراً على قومه، وذلك قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين، فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياته، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ﷺ تراباً، ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك. ويقول بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه، حتى مات أبو طالب».

فإنه لما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشا ثقله، قالت قريش بعضها لبعض «إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فيأخذ لنا على ابن أخيه، وليعطه منا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا»[1]، فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه، فخذ له منا، وخذ لنا منه، ليكفّ عنا ونكف عنه، وليدعنا وديننا، وندعه ودينه، فبعث إليه أبو طالب فجاءه، فقال يا ابن أخي: هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا لك ليعطوك، وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ: نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم. فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر

(1) عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية)، ج2، ص 46.

كلمات، قال ﷺ تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه. فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن أمرك لعجب[1].

وبعد أن اشتد على رسول الله ﷺ الأذى، وهو صابر، محتسب ذلك عند الله، يدعو قومه إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن حيث كانت هذه سياسته في تبليغ رسالة ربه لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]. خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة منهم، ورجاء أن يتقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم ومعه زيد بن حارثة. ولما وصل رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبديالیل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير، وعند أحدهم امرأة من قريش، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فخذلوه، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه، ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، ودخل الحائط، ورجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان يتبعه وهنالك جلس تحت ظل شجرة عنب، فلما اطمأن رسول الله ﷺ توجه إلى ربه بهذا الدعاء «اللهم إليك

(1) المرجع السابق، ج3، ص47.
(2) سورة النحل، الآية (125).

أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»[1].

وفي حديث لعائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت لرسول الله ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟» قال: «لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[2]، إذ عرضت نفسي على ابن عبديالیل بن عبد كلال، من سادة وأشراف ثقيف ـ فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» فقال النبي ﷺ: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً»[3].

فأي سياسة هذه، وأي لين وتسامح ورحمة أعظم من هذا الذي

(1) عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ص 89 ـ 90.

(2) المقصود عقبة الطائف.

(3) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ـ صحيح البخاري، المصدر السابق، ج 4، ص83.

عمله رسول الله ﷺ وسار عليه في هذه السياسة الرحيمة بأمته، على ما لقيه من كفار قريش من قسوة وتعنت وتكبر وأذى، فقد وصفوه مرة بالساحر ومرة بالكاهن، وأخرى بالمجنون، ومع هذا كله قابل قسوتهم باللين، وشدتهم بالتسامح، وتكبرهم بالتواضع وتعنتهم وادعاءهم بالرحمة، والعفو عنهم عند المقدرة.

لقد توالت عليه ﷺ الشدائد، ومنها كفر قومه بدعوته، وشدة حصار شعب أبي طالب، إلى وفاة عمه ونصيره أبي طالب، وفقده حنان زوجته أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ وخيبة أمله في نصرة ثقيف بالطائف، ولم يستطع رسول الله ﷺ العودة إلى مكة المكرمة من الطائف إلا بجوار المطعم بن عدي، فقد ذهب رسول الله ﷺ وبات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج معه المطعم وبنوه ستة، أو سبعة، متقلدي السيوف جميعاً، فدخلوا المسجد وقال المطعم لرسول الله ﷺ «طف» واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، فأقبل أبو سفيان إلى المطعم فقال: «أمجير أو تابع»؟ قال: «لا بل مجير» قال: إذن لا تخفر، فلما انصرف انصرفوا. قال رسول الله ﷺ يوم أسارى بدر عندما نصره الله على قومه «لو كان المطعم بن عدي حيّاً ثم سألني في هؤلاء النّتنى لوهبتهم له»[1].

لقد هّون الله تعالى على نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم هذه الحالات من الشدة، والقسوة والحزن، إلى حُسن الضيافة والكرامة، فلقد أُسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى،

(1) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 3، ص 38.

ومنه إلى ما شاء الله من القرب والدنو، والسير في السموات ومشاهدة الآيات، والاجتماع بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكانت ضيافة كريمة من الله سبحانه وتعالى وجلت قدرته لنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، وتسلية وجبراً للخاطر، وتعويضاً عما لقيه في الطائف من العذاب والهوان، والجفاء والنكران[1]، واستمر رسول الله ﷺ يدعو إلى الله بالسياسة والحكمة واللين، فيعرض دعوته على القبائل في المواسم والمناسبات السنوية، ففي سوق ذي المجاز[2]، كان يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون إليه، ووراءه عمه أبو لهب يقول: «إنه صابئ كاذب» يتبعه حيث ذهب يقول: «يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم»[3]. فلما أراد الله سبحانه وتعالى إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز وعده له، ودحر أعدائه، يسّر الله لنبيه الخروج في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه كعادته على قبائل العرب باللين والحكمة والبرهان، كما كان يصنع في كل موسم حج.

العقبة الأولى:

لقي النبي ﷺ رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، جلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فأجابوه فيما دعاهم إليه، حيث صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من

(1) أبو الحسن علي الندوي، السيرة النبوية، (بيروت، المكتبة العصرية، 1401هـ/1981م)، ص167.

(2) سوق ذي المجاز: كانت سوقاً يجتمع فيها العرب في كل عام، وهو واقع في وادي المغمس بعد الشرائع وأنت قاصد مكة وهو من أسواق الجاهلية المشهورة .

(3) الحافظ ابن كثير ـ البداية والنهاية، ج3، ص139.

الإسلام، وقالوا: سنقدم إلى قومنا فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين.

فلما قدموا المدينة واجتمعوا بقومهم ذكروا لهم ما حدث لهم مع رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام، فقبلوه حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل، قدم إلى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض الحرب، «على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفّيتم فلكم الجنة، وإن غشّيتم شيئاً من ذلك فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله، إن شاء عذبكم، وإن شاء غفر لكم».

فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبدالدار بن قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى في المدينة المقرئ[1]. وبذلك يكون مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام.

العقبة الثانية:

أما بيعة العقبة الثانية فكان مصعب بن عمير قد رجع إلى مكة المكرمة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى موسم الحج مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله

(1) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الملوك، ج1، ص 558 ـ 559.

ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم خيراً، وما أراده من كرامتهم، والنصر لنبيه، وإعزاز الإسلام وأهله. وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، هما نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة، واجتمعوا، فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعاهم إلى عبادة الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ورغبهم في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» فأخذ البراء بن معرور بيده وقال: نعم! فوالذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا. فقال أبو الهيثم بن التيهان: فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟» فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم». ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فقال أبو أمامة: سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك. قال: أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم». قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «لكم الجنة». قالوا: فلك ذلك[1].

فلما علمت قريش بهذا الاتفاق وعزم المسلمين على الهجرة إلى

(1) الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص158 ـ 163.

يثرب اشتد غضبها، ولاحقت المسلمين، ووضعت أشد العراقيل في وجههم، ولكن الله سلّم. بعد ذلك أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة، واللحاق بإخوانهم الأنصار في المدينة المنورة.

تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ «فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر، هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال: أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: «فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج من عندك» فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: «فإني قد أذن لي بالخروج» فقال أبو بكر: «الصحابة ـ أي المصاحبة بأبي أنت يا رسول الله» قال رسول الله ﷺ: «نعم»[1].

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم، وبغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم نزلوا داراً، وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم. فاجتمعوا في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، وتشاوروا، وتآمروا على قتله، فأتى جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فقال: «لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه». فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام، فيثبوا عليه وثبة رجل واحد، فيضيع دمه بين القبائل.

(1) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص225.

وقفة مع هجرة المصطفى ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة:

بعد أن أمر رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن ينام على فراشه، ويبقى حتى يرد الودائع التي كانت عند رسول الله ﷺ لأصحابها وخرج رسول الله ﷺ من مكة وصاحبه أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إلى غار ثور، حيث بقيا ثلاث ليال.

توجه رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إلى المدينة، ووصلا إلى قباء يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، ونزلا على بني عمرو بن عوف أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس هناك مسجد قباء[1]، ثم خرج رسول الله ﷺ من قباء إلى المدينة يوم الجمعة، فأدركته الصلاة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، وكانت خطبة رسول الله ﷺ في هذه الجمعة، هي أول خطبة خطبها بالمدينة، فيها حمد الله وأثنى عليه. وحث الناس على أن يقدموا لأنفسهم خيراً، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف[2].

(1) أول مسجد بني في الإسلام.

(2) عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، ج3، ص489 ـ 510.

صورة تبين سور وقلعة المدينة، ومن داخل السور تبدو مآذن المسجد النبوي الشريف

انطلاقة الدعوة من المدينة المنورة:

بعد أن استقر رسول الله ﷺ في المدينة شرع في تأسيس الدولة الإسلامية، وأول شيء فعله هو بناء المسجد النبوي الشريف الذي انطلقت منه الدعوة الإسلامية، وقد آخى بين المهاجرين والأنصار، ووضع قواعد وسياسة الدولة على أسس الشريعة الإسلامية، وقد شارك في حمل الراية رجال تتلمذوا على يديه، وجاهدوا معه لنصرة هذا الدين، وسلكوا سياسته الحكيمة من بعده، وممن تخرج من جامع رسول الله ﷺ كبار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أمثال: أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة عامر ابن الجراح، وسعد بن معاذ، والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد، وغيرهم من الصحابة الذين أوصلوا هذه العقيدة والرسالة السماوية إلى مشارق الأرض ومغاربها وستبقى ـ إن شاء الله ـ حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهؤلاء الصفوة من الرجال صبروا واحتسبوا أجرهم عند الله على ما أصابهم في سبيل نصرة هذا الدين، ولقد وصفهم رب العزة والجلال في محكم آيات التنزيل، حيث قال عز من قائل عنهم: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾[1].

لقد بقي رسول الله ﷺ قبل تأسيس الدولة الإسلامية ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة يدعو إلى توحيد الله بالعبادة، والانقياد له بالطاعة، ووجد ما وجد من قومه من الأذى حتى أخرجوه من مكة المكرمة.

(1) سورة الفتح، الآية (29).

وبعد أن وصل الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة استمر في دعوته فمكث عشر سنوات منذ هجرته إلى وفاته، قام خلالها بتأسيس الدولة الإسلامية، فأوجد لها النظام السياسي والإداري، وأصلح بين الناس، وآخى بين الأوس والخزرج[1]، وكان من إصلاحه بين الناس أنه كتب كتابا بين كل من المهاجرين والأنصار، مع عنايته بأمر الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وكان الكفار من أهل المدينة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الذين صالحهم وعاهدهم على ألا يحاربوه وألا يوالوا عليه أعداءه.

القسم الثاني: الذين حاربوا رسول الله ﷺ وناصبوه العداء.

القسم الثالث: الذين لم يحاربوه ولم يناصبوه العداء، ولم يصالحوه وانتظروا ماذا يدور بينه وبين أعدائه.

رسم رسول الله ﷺ في صحيفته الإدارية والسياسية المشهورة بين المهاجرين والأنصار واليهود (النظام الأساسي للدولة الإسلامية الأولى بالمدينة المنورة) فجاءت كما يلي:

1 ـ هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش (وأهل) يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

2 ـ أنهم أمة واحدة من دون الناس.

3 ـ المهاجرون من قريش على ربعتهم[2] يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم[3] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

---

(1) قبيلتان كانتا تسكنان المدينة، وكانت بينهما حروب طاحنة قبل هجرة الرسول ﷺ.

(2) الربعة: الحال التي وجدهم عليها.

(3) عانيهم: الأسير.

4 ـ وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

5 ـ وبنو الحارث (بن الخزرج) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

6 ـ وبنو (ساعدة) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

7 ـ وبنو (جشم) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

8 ـ وبنو (النجار) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

9 ـ وبنو (عمرو بن عوف) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

10 ـ وبنو (النّبِيت) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

11 ـ وبنو (الأوس) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

12 ـ وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

13 ـ وأن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثماً، أو عدواناً، أو فساداً بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

14 ـ ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن.

15 ـ وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

16 ـ وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

17 ـ وأن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

18 ـ وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً.

19 ـ وأن المؤمنين يبوء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

20 ـ وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.

21 ـ وأنه من اعتبط مؤمناً قتلا عن بينة فإنه قَوَدٌ به، إلا أن يرضى ولي المقتول (بالعقل) وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

22 ـ وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه، وان من نصره، أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

23 ـ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء. فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ.

24 ـ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

25 ـ وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يُوتغِ إلا نفسه وأهل بيته.

26 ـ وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

27 ـ وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

28 ـ وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

29 ـ وأن ليهود بني جُشم مثل ما ليهود بني عوف.

30 ـ وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

31 ـ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

32 ـ وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

33 ـ وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم.

34 ـ وأن موالي ثعلبة كأنفسهم.

35 ـ وأن بطانة يهود كأنفسهم.

36 ـ وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ.

وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته، إلا من ظلم، وأن الله على أبرّ هذا.

37 ـ وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم.

38 ـ وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

39 ـ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

40 ـ وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

41 ـ وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه.

42 ـ وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

43 ـ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب.

44 ـ وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

45 ـ على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

46 ـ وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه.

47 ـ وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج أمن ومن قعد أمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ[1].

(1) محمد حميدالله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط3، بيروت، دار الإرشاد 1389/1969م، ص41 ـ 47.

وبهذه الصحيفة وبهذا التآخي حدد رسول الله ﷺ سياسته الإدارية، لتكون لبنة قوية صالحة لبناء دولة إسلامية، تنشر العدل والسلام وتوحد الصفوف بين الأمة الإسلامية والبشرية جمعاء، وتكفل الحياة الاجتماعية الكريمة في ظل راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتقوى رابطة فئات المجتمع، حتى يكون كل فرد في هذا المجتمع لبنة صالحة في وحدة الدولة وقوتها والمحافظة على أمنها، وعدم الخروج عن طاعة ولي الأمر، ما دام ولي الأمر في طاعة الله، وعدم مخالفة أمره، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، وكما قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»[2]، وأن من يخرج على طاعة ولي الأمر، أو يلعب بالعهود والمواثيق، تكون عاقبته الردع بالقول، وبالفعل إذا لم ينفع القول، حسب ما جاء في الكتاب والسنة من أحكام شرعية.

و إذا التزم المجتمع بالعهود والمواثيق والتآخي الذي رسمه المصطفى ﷺ، فإن أثر ذلك باق لأجيال بعد أجيال، وهذا ما سارت عليه هذه البلاد في عهود كثيرة من تاريخها.

هذه المناهج الحكيمة التي بينها الكتاب والسُنة، هي المحجة والطريقة الواضحة، من ابتغى العزة في غيرها هلك، ومن سار عليها

(1) سورة النساء، الآية (59).

(2) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج4، ص8.

واتبع ما جاء فيها نجا وحصل على المعيشة الكريمة والتكافل الاجتماعي، والأمن في حياة كريمة عزيزة ما تعاقبت السنون والأجيال. فقد بين لنا رب العزة والجلال أن تحقيق العدل بإقامة الحدود على من يعيث في الأرض فساداً، إنما يكون ذلك لاستقامة الحياة الطبيعية للبشر، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

ما مر بنا في الصفحات السابقة هو صلب موضوعنا عن الدبلوماسية والحكمة والاتزان، فخير قائد ومعلم ومرشد لنا وللبشرية محمد بن عبدالله ﷺ الذي قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» والدبلوماسية بنيت على مبدأ اللين والحكمة وحسن الخلق، وهو خير من نقتبس من هديه ونسير على نهجه القويم.

إن جميع الغزوات والسرايا التي قام بها المصطفى ﷺ كانت من أجل الدعوة إلى الإسلام، ولتبليغ رسالة ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وكان عددها خمساً وعشرين غزوة ولم يذكر أنه قاتل إلا في سبع من تلك الغزوات، ذلك لأن دعوته دعوة حكيمة تظهر اللين والحزم في آن واحد فمن قبل الدعوة واستجاب لها فهذا هو المطلب، ومن لم يستجب فله الخيار إما بدفع الجزية ممن تقبل منهم في الإسلام وإما القتال وهذا بعد فرض القتال حين نزلت أول آية من آيات القتال، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[2].

(1) سورة البقرة، الآية (179).

(2) سورة الحج، الآية (39).

ثم جاءت الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم، وفي عهد الدولتين: الأموية، والعباسية، وما قام به بعض المصلحين لتجديد الدعوة، مثل دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية ودعوة المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب في شبه الجزيرة العربية مع الإمام محمد بن سعود واتفاقهما على نصرة كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، بعد أن كثرت الخرافات والشركيات، وعدم إقامة الشريعة الإسلامية كما جاءت في الكتاب والسنة.

فالدبلوماسية لها عمق تاريخي في الإسلام، وأكبر دليل على ذلك السياسة الحكيمة التي اتبعها الرسول ﷺ في بداية دعوته لقريش، وفي عرض دعوته على القبائل، وسفره من مكة إلى الطائف لعرض دعوته على ثقيف، بعد أن عارضته قريش، ثم هجرته إلى المدينة المنورة بعد بيعتي العقبة الأولى، والثانية، كما تتجلى حكمته وسياسته، عند وصوله إلى المدينة المنورة في المصالحة بين الأوس والخزرج، وفي مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، وما ورد من نصوص في صحيفته الإدارية والسياسية، يعد من الحنكة السياسية، وهكذا سار بعده الخلفاء الراشدون ومن تبعهم بإحسان من حكام ومحكومين، إلى يومنا هذا فكان هذا هو المنطلق والقاعدة التي بنيت عليها الدولة الإسلامية ـ ولله الحمد ـ في هذه الدولة السعودية التي بنيت قاعدتها بميثاق الدرعية الذي تم بين الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية، والشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمة الله عليهما ـ وقد سار على نهجهما من جاء

من عقبهما، ذلك هو المنهج الإسلامي المبني على التآخي والعدل، ومعالجة الأمور بالحكمة والسياسة والتعقل، وهذه هي ثمار المنهج الإسلامي القويم الذي بناه وأسَّسه رسول الهدى ﷺ وخلفاؤه الراشدون الذين تخرجوا على يديه، حتى وصل هذا النور إلى مشارق الأرض ومغاربها ـ رضي الله عنهم أجمعين.

لقد وهب الله نبيه ﷺ الحكمة والرحمة كما وصفه ربه في قوله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ** ﴾[1]، وكما جاء في نصحه عليه أفضل الصلاة والسلام لأمته في قوله: «إنكم لا تسَعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»[2].

أنت الذي قَوَّمت ميزان الورى ... ومحوت ظلم العدل في الميزان

آسيت أيتاما كفلت أراملَ ... أسعدت محروماً رحمت العاني

أنقذت مسكيناً حميت مشرداً ... أسعفت مكروباً هديت الجاني

صلى عليك النيِّران وسلّما ... يارحمة بعثت من الرحمن[3]

وبعد أن أرسى رسول الله ﷺ قواعد الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكتب المواثيق، وأصلح بين القبيلتين المتناحرتين، الأوس

---

(1) سورة آل عمران، الآية (159).

(2) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية 1990م، ج 6، ص254.

(3) ناصر الزهراني: إبهاج الحاج، (ط3، الرياض، مطبعة سفير، 1416هـ)، ص12.

والخزرج، ورسم السياسة الإدارية الداخلية (والسياسة الخارجية بينه وبين الدول المجاورة له)، قام ﷺ بأول عمل دبلوماسي في الإسلام، لتبليغ دعوة ربه، فأرسل السفراء من أصحابه، واختار كل سفير مناسب للدولة المبتعث لها، يحملون كتبه السياسية إلى ملوك وأمراء العالم المجاور، يبلغهم فيها بدعوته إلى الإسلام.

obeikandl.com

صورة لجبل الرماة وخلفه جبل أحد بالمدينة المنورة

obeikandl.com

السُّفراء الّذين حملوا الكُتب المرسلة

من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المُلوك والأُمراء

وردود الفعل تجاه تلك الرّسائل

obeikandl.com

السفراء الذين حملوا الكتب المرسلة من رسول الله ﷺ:

أرسل رسول الله ﷺ رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم لحمل رسائله التي تحمل الدعوة إلى الإسلام، كما أمره الله عز وجل في قوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وكان ذلك بعد غزوة الحديبية حتى وفاته ﷺ، خرج رسول الله ﷺ ذات غداة فقال لأصحابه: «إني بُعثت رحمة إلى الناس كافة، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كاختلاف الحواريين على عيسى ابن مريم»، قالوا: يا رسول الله، وكيف كان اختلافهم؟ قال: «دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه، فأما من قرُب منه فأحب وسلم، وأما من بَعُدَ فكَرِه وأبى، فشكا ذلك منهم عيسى إلى الله عز وجل، فأصبحوا من ليلتهم تلك، وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين بعث إليهم، فقال عيسى: «هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فامضوا»[2].

وكانت هذه بداية السفارات الدبلوماسية في عهد الإسلام للأمم المجاورة خارج الحجاز، وقد بعث رسول الله ﷺ إلى كل ملك أو أمير رسولاً معه كتاب يدعوه فيه إلى الإسلام ويرغبه فيه، وأن يؤمن برسالته، ويدخل في دين الله. وإن أبى فعليه إثم قومه.

ولقد قام الرسل بمهامهم خير قيام، وتباحثوا مع من أُرسلوا إليهم مباحثات بالسياسة واللين والحكمة وهو ما عُرف في وقتنا الحاضر

(1) سورة الحجر: الآية (94).

(2) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص128.

بالدبلوماسية. فمنهم من هداه الله للإسلام، ومنهم من أجاب رسول الله ﷺ، وأكرم رسله، ومنهم من كتب الله عليه الشقاوة فتجبر، وتكبر، فناله عقابه في الدنيا، وفي الآخرة له عذاب شديد وبئس المصير.

السفارات النبوية:

أما الدعوة التي قادها رسول الله ﷺ بالسياسة واللين والحكمة والموعظة الحسنة، أو الغزوات النبوية لمن يمتنع عن إجابة الدعوة، فكانت للذود عن الإسلام، ووسيلة لتأييد كلمته، ولتبليغ رسالة ربه، كذلك كانت السفارات النبوية سبيلاً لأداء رسالته، ومنهاجاً تسير عليه أمته من بعده، فهؤلاء السفراء أو الرسل حملوا الكتب لإبلاغ الرسالة ولدعوة الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون أهم مناطق العالم القديم، ففي شهر ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة النبوية، الموافق شهر أبريل 628م بعث ﷺ كتبه وسفراءه إلى ثمانية من الملوك والأمراء وهم:

1 ـ هرقل ـ قيصر الروم.
2 ـ كسرى بن هرمز ـ ملك الفرس.
3 ـ المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني ـ عامل قيصر على الشام.
4 ـ المقوقس، واسمه جريح بن مينا القبطي ـ صاحب الإسكندرية.
5 ـ النجاشي الأصحم ـ ملك الحبشة.
6 ـ المنذر بن ساوى ـ أمير البحرين.
7 ـ هوذة بن علي الحنفي ـ أمير اليمامة.
8 ـ جيفر وعبد ابنا الجلندي ـ شيخا عمان.

لقد كان هؤلاء هم ملوك العرب والعجم الذين يسودون شبه الجزيرة العربية وما حولها يومئذ، أو يتصلون بها بأوثق الصلات، وكان أهمهم وأعظمهم بلا ريب قيصر الروم وملك الفرس، وقد كانا يقتسمان سواد العالم القديم في ذلك الوقت، فكان قيصر الروم يحكم الشام وما يليها جنوباً حتى شمالي الحجاز، كما بسط ملك الفرس حكمه على شمالي شرقي شبه الجزيرة العربية، ويدين له كثير من أمراء العرب بالولاية والطاعة، وكان الأول زعيم الأمم النصرانية، والثاني زعيم الأمم الوثنية أو المجوسية.

1. رسالة النبي ﷺ إلى هرقل قيصر الروم:

كان سفير النبي ﷺ إلى هرقل، قيصر الدولة الرومانية الشرقية، دحية بن خليفة الكلبي، وكان هرقل حينذاك بـ (بصرى الشام)، وبعض المصادر التاريخية تؤكد أنه كان في بيت المقدس بفلسطين، وأن دحية قد وصل إلى بصرى، وبعثه صاحب بصرى إلى هرقل.

ونص الرسالة «بسم الله الرحمن الرحيم، من رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرّتين، وإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين. وفي رواية «إثم الأكّاريين عليك تعبأ بحمله»[1]. وكان رد الفعل على تلك الرسالة، أنه عندما سلم دحية بن خليفة الكلبي كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، أخذه وجعله بين فخذيه وخاصرته، ثم كتب إلى رجل برومية

(1) عبدالرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ط2، بيروت، دار الفكر 1408هـ/ 1988م ، ج2، ص450.

يذكر له أمره، ويصف له شأنه، فأجابه إنه النبي الذي كنا ننتظره لاشك فيه، فاتبعه وصدقه، فعرض الأمر على بطاركة الروم، وقال لهم: «يا معشر الروم، إنه قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله لَلنبيّ الذي كنا ننتظره، ونجده في كتبنا، فهلموا نتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا» فعارضوه، فخافهم على نفسه، وقال: «ما قلت لكم المقالة إلا لأنظر كيف صلابتكم على دينكم»، وكان هرقل قد أمر صاحب الشرطة أن يحضر له رجلاً من قوم النبيﷺ وعندما أحضر أبا سفيان وكان في تجارة إلى الشام، سأله عن نسب النبي، وهل كان في آبائه ملك فجاء ليسترد ملكه؟ وعن أتباعه، فأجابه عن جميع أسئلته، فقال هرقل: «فلئن صدقني عنه ليغلبني على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فأغسل قدميه»[1].

إن من كرامات الله لنبيه محمد ﷺ وصدق رسالته أن جعل الله مكانته عالية وقدره مرفوعاً، وأنزل محبته بين المؤمنين وأهل الكتاب من غير المنافقين، وكان هرقل ملك الروم عندما وصلته رسالة النبي ﷺ لم يتعجل في الرد، وإنما أراد أن يتأكد من صدق من دعاه إلى تغيير دينه واتباع الحق، وهو يعلم قومه ويخشاهم على ملكه إن هو بادر بالاستجابة للدعوة، فعرض الأمر على بطاركته ووزرائه ليرى رد فعلهم ومدى رغبتهم لقبول الدعوة، وثانياً أنه لحكمته وسياسته وبعد نظره، أرسل صاحب شرطته، ليحضر له أحداً من قوم النبي ﷺ ليكتشف أمره بلسان واحد من قومه، فأحضر أبا سفيان وكان في

(1) محمد بن جرير الطبري: المصدر السابق، ج2، ص 129 ـ 131.

تجارة له بالشام وهو ما زال على كفره ولكنه صدق مع هرقل لأن الكذب كان مذموماً حتى قبل الإسلام، فقال هرقل قولته «لئن كان هذا الرجل صادقاً معي في إجابته بأنه لم يأت ليسترد ملكاً له، وأن أتباعه هم الضعفاء، وأنه من أقوى نسب في قومه، فإنه سيملك ما تحت قدمي، وصدق به، وتمنى أن يكون عنده حتى يقوم بخدمته، ولكن حكمة الله فوق كل رغبة، فقد ضنّ هذا الملك بملكه، عندما رأى معارضة بطاركته وغلبة قومه، فقال لهم إنما أردت أن اختبركم وأرى قوة صلابتكم على دينكم. وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِداً**﴾[1].

2 ـ رسالة النبي ﷺ إلى كسرى ملك الفرس:

وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد ابن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب معه (بسم الله الرحمن الرحيم)، من محمد رسول الله إلى كسرى بن هرمز ملك فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاء الله فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين، فإن تُسلِم تَسْلَم وإن أَبَيْتَ فإن إثم المجوس عليك»[2]. وكان رد الفعل لكسرى ابن هرمز ـ ملك فارس ـ أنه لما قدم عبدالله بن حذافة إلى كسرى وسلمه الكتاب، فلما قرأه مزّقه، وقال: يكتب إليّ هذا وهو عبدي! قال، ثم كتب إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي

(1) سورة الكهف، الآية (1).

(2) الحافظ ابن كثير، مصدر سابق، ج 4، ص269.

بالحجاز رجلين، واكتب إليه معهما أن ينصرف إلى كسرى ، فقدم الرجلان على رسول الله ﷺ بالمدينة وكلَّمه بانويه، وقال: «إن شاهنشاه قد كتب إلى الملك باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك، وبعثني لتنطلق معي، ويكتب معك فينفعك، وإن أبيت فهو من علمت، ويهلك قومك، ويخرب بلادك، وكان الرسولان قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فنهاهما رسول الله ﷺ عن ذلك، فقالا: «أمرنا به ربنا»، يعنون كسرى. فقال لهما: لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال: ارجعا حتى تأتياني غداً». وجاءه الوحي بأن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ليلة كذا من شهر كذا لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة، فدعاهما وأخبرهما بمقتل كسرى، وقال: اذهبا إلى باذان وأخبراه عني، وقولا له إن ديني وسلطاني يبلغ ما بلغ ملك كسرى، وإن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء، فقدما على باذان وأخبراه، فقال: «ما هذا كلام ملك، ما أرى الرجل إلا نبياً كما يقول، ونحن ننتظر مقالته» فلم ينشب[1] باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه، يخبره أنه قتل كسرى[2].

3 ـ رسالة النبي ﷺ إلى المنذر بن الحارث الغساني:

حمل رسالة النبي ﷺ شجاع بن وهب أخو بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني، صاحب دمشق، وكتب معه «سلام على من اتبع الهدى، وآمن به، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده

(1) ينشب: أي يلبث .

(2) عبدالرحمن بن خلدون، مصدر سابق، ص267.

لا شريك له يبقى لك ملكك»[1]، وكان رد فعل المنذر بن الحارث أنه لما قدم شجاع بن وهب بكتاب النبي ﷺ، فقرأه عليهم، قال المنذر: «من ينزع مني ملكي! أنا سائر إليه»، فقال النبي ﷺ «باد ملكه»[2].

٤ ـ رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط:

ونقل رسالة النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، واسمه جريح بن مينا القبطي، صاحب الإسكندرية، «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط[3]، ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[4].

وكان رد فعل المقوقس أنه لما تسلم كتاب النبي ﷺ من حاطب ابن أبي بلتعة قال المقوقس: «إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء، والإخبار بالنجوى وسأنظر، وأخذ كتاب النبي ﷺ، فجعله في

---

(1) الحافظ بن كثير: المصدر السابق، ج 25، ص31.

(2) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص131.

(3) محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص106.

(4) سورة آل عمران: الآية (64).

حق من عاج، وختم عليه ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب العربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد ابن عبدالله من المقوقس عظيم القبط، أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيّاً بقي، وكنت أظنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك». ولم يزد على ذلك، ولم يسلم، والجاريتان هما مارية القبطية أم إبراهيم، وسيرين، والبغلة بقيت إلى زمن معاوية[1].

5 ـ رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة:

بعث رسول الله ﷺعمرو بن أمية الضمري برسالة إلى النجاشي ملك الحبشة، وهذا نصها «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى».

وقال عمرو بن أمية الضمري: «يا أصحمة! إن عليّ القول وعليك

(1) شمس الدين محمد بن أبي بكر الفريحي الدمشقي، ابن قيم الجوزية ـ زاد المعاد في هدي خير العباد (ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1402هـ / 1982م) ج3، ص693.

الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا، وكأنا في الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاضٍ لا يجور، وفي ذلك موقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي ﷺ إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف وأجر ينتظر.

وكان رد فعل النجاشي أنه قال: «أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر». ثم كتب النجاشي جواب كتاب النبي ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثقروفاً[1]، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعث به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين»[2].

6 ـ رسالة النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى أمير البحرين:

وفي السنة الثامنة من الهجرة ـ 630م ـ قصد إلى البحرين سفير

(1) الثقروف: علاقة ما بين النواة والقشرة، وفي القاموس أنه قمع التمر أو ما يلتزق بقمعها.

(2) ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج3، ص691 ـ 692.

آخر وهو العلاء بن الحضرمي، ومعه كتاب من رسول الله ﷺ إلى أميرها المنذر بن ساوى، وكانت البحرين في أيام ظهور رسول الله ﷺ إمارة تحت الاحتلال الفارسي، وكان المنذر بن ساوى عامل كسرى عليها، ومن أهل الشرك، وقد قال رسول الله ﷺ للعلاء: «إن أجابك فأقم حتى يأتيك أمري، وخذ الصدقة من أغنيائهم فردها على فقرائهم».

ونص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام على من اتبع الهدى، فأسلم تسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر». وكان رد فعل المنذر بن ساوى أمير البحرين أن أجاب رسول الله ﷺ بالآتي: «أما بعد، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إليّ في ذلك أمرك»[1].

فرد النبي ﷺ على المنذر بن ساوى بما يلي : «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءني ورسلك، وإنه من صلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا، فإنه مسلم، له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، ومن أبى فعليه الجزية».

وبذلك فرض رسول الله ﷺ على غير المسلمين الجزية، كما أمر بأن لا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم، حتى يسلموا[2].

(1) محمد حميد الله: المصدر السابق، ص112.

(2) محمد بن جرير الطبري: المصدر السابق، ج2، ص145.

7. رسالة النبي ﷺ إلى هوذة بن علي الحنفي أمير اليمامة:

كان هوذة بن علي الحنفي على دين النصرانية، وأميراً على اليمامة، وقد أرسل رسول الله ﷺ له سليط بن عمرو العامري، ومعه رسالة جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلِم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك». وكان رد فعل هوذة أنه عندما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوما، أنزله وحياه، واقترأ عليه الكتاب، فردّ رداً دون ردّ، وكتب إلى النبي ﷺ «ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني فاجعل إليّ بعض الأمر أتبعك» وأجاز سليطاً بجائزة، وكساه أثواباً من نسيج هجر، فقدم بذلك كله على النبي ﷺ. فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه، فقال: «لو سألني سيابة[1] من الأرض ما فعلت، باد، وباد ما في يديه» فلما انصرف رسول الله ﷺ من الفتح، جاءه جبريل عليه السلام فأخبره بأن هوذة قد مات[2].

8. رسالة النبي ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي شيخي عمان:

أرسل النبي ﷺ عمرو بن العاص إلى عُمان، ومعه كتاب إلى أميريها جيفر وعبد زعيمي بني الأزد، وفيه يطلب النبي ﷺ إلى هذين

(1) السياب: مثل السحاب: البلح أو البر الأخضر، واحدته سيابة، والتقدير لو سألني قدر بلحة أو برة من الأرض ما أعطيته، لسان العرب 1/479.

(2) ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج3، ص696.

الأمـيـرين اعـتناق الإسـلام، ونصـه: «بسم الله الرحـمن الرحـيم، من محمد رسول الله، إلى جيفر وعبدابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوكما بدعوة الإسلام. أسلما تسلما، فإني رسـول الله إلى الناس كـافـة، لأنذر من كـان حـيّـاً ويحق القـول على الكافرين، فإنكما إن أقـررتما بالإسـلام ولّيتكما، وإن أبيتـما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما»[1].

أما رد فعل شيخي عمان جيفر وعبد ابني الجلندي، فنورد القصة كما رويت عن أحد دهاة العرب، عمرو بن العاص، وهي قصة محادثاته ومحاورته معهما، وهي تدل على بعد النظر وحسن التصرف بالحكمة والروية والحنكة السياسية، يقول عمرو: «خرجت حتى انتهيت إلى عُمان فلما قدمتها، عمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً، فقلت إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال: أخي المقدم عليّ بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال: وما تدعو إليه؟ قلت أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: يا عمرو إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك، فإن لنا فيه قدوة؟ قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ، ووددت أنه كان أسلم وصدق به، وقدكنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام، قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريباً. فسألني أين

(1) عبدالجبارمحمود السامرائي: والرسائل التي بعث النبي ﷺ إلى ملوك الدول المجاورة، مجلة الفيصل: العدد 55، ص 71.

كان إسلامك؟ قلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم. قال: كيف صنع قومه بملكه؟ فقلت: أقروه واتبعوه. قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم. قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب، قلت: بلى، قال: بأي شئ علمت ذلك؟ قلت كان النجاشي يخرج له خرجاً فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال: لا والله لو سألني درهما واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال له بناق أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خرجاً، ويدين ديناً محدثاً، قال هرقل: «رجل رغب في دين فاختاره لنفسه ما أصنع به؟ والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع». قال: أنظر ما تقول يا عمرو، قلت: والله صدقتك، قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به، وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنى، وعن الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، قال: ما أحسن الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً. قلت: إن هو أسلم ملّكه رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم، قال: إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل[1]، قال يا عمرو: وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟. فقلت: نعم. فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا. قال:

(1) عبدالجبار محمود السامرائي: المصدر السابق، ص71.

فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه، فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يوماً فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعي، فقال: دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه، فقال: تكلم بحاجتك. فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففض خاتمه، وقرأ حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه مثل قراءته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه، قال: ألا تخبرني عن قريش كيف فعلت؟ فقلت: تبعوه إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف. قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام، واختاروه على غيره، وعرفوا بعفوه لهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه، يواطئك الخيل والرجال، قال: دعني يومي هذا، وارجع إليّ غداً، فرجعت إلى أخيه، فقال: يا عمرو! إني لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه. حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أنني لم أصل إليه، فأوصلني إليه، فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ها هنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى. قلت: وأنا خارج غداً، فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه، فقال: ما نحن فيما ظهر عليه، وكل من أرسل إليه قد أجابه، فأصبح فأرسل إليّ فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً. وصدقا النبي ﷺ وخليا بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني[1].

ومن منطلق تلك الرسائل، وردود الفعل لتلك الكتب التي وجهها

(1) عبدالجبار محمود السامرائي: المصدر السابق، ص71.

رسول الله ﷺ لملوك وأمراء الدول المجاورة، والتي حملها رسله يتبين أنه يمكن اعتبار هذه الخطوة وهذا الإجراء أول السفارات خارج الحجاز في الإسلام، ومن هديه ﷺ إكرامه للرسل الذين يحملون إليه الكتب من أعدائه فلا يقتلهم بل يحترمهم ويسمع منهم، ومثل ذلك عندما قدم رسولان من مسيلمة الكذاب، قال لهما رسول الله ﷺ: «فما تقولان أنتما»، قالا: نقول مثلما يقول مسيلمة. فقال ﷺ: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما». فجرت سنته على أمته ألا تقتل الرسل، وكان ﷺ لا يحبس الرسول إذا اختار دين قومه، ولا يمنعه من أن يلحق بهم. وهذا مبدأ الحصانة الدبلوماسية المعروفة الآن. أوجدها من أرسله الله رحمة للعالمين، محمد بن عبدالله ﷺ، قبل أكثر من أربعة عشر قرنا خلت من الزمان.

وعرفنا من ردود الكتب التي وصلت للرسول الكريم ﷺ أن منهم من منّ الله عليه وهداه للإسلام، ومنهم من أبى الدخول في الإسلام، وأجاب بأدب وضن أن يزول ملكه ومنهم من كتب الله عليه الشقاوة في الدنيا والآخرة، فتجبر وتكبر، وأخذته العزة بالإثم، فمزقهم الله ومزق ملكهم، فأرسلت لهم الجيوش الإسلامية جهاداً في سبيل الله، وإعلاء لكلمته في عهد رسول الله ﷺ ثم في عهد خلفائه الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ خُيّروا بين الدخول في الإسلام أو دفع الجزية، حتى فتح الله للمسلمين الأمصار واستجابت معظم دول العالم للإسلام، إما بالدعوة أو بقوة الجهاد الإسلامي، حتى وصل الإسلام إلى أطراف الدنيا: شرقاً إلى الصين وغرباً إلى فرنسا، واتسعت رقعة الدولة

الإسلامية، وكانت مهابة بقوة الإيمان بالله، ثم بقوة الاتحاد والإخلاص لهذه الدعوة المباركة، كما دخل الإسلام إلى بعض دول أفريقيا وجنوب شرق آسيا، بواسطة الدعاة أو التجار، فانتشرت الدعوة ودخل الناس في دين الله أفواجاً عن عقيدة وإيمان، لكن مما يؤسف له أنه بعد ذلك انغمس المسلمون في ملذات الدنيا، وانشغلوا بها عن الدين، وضعف الوازع الديني عند كثير من المسلمين، إلا من رحم ربك، وتمزقت الدول الإسلامية، وسقطت الدولة العباسية على يد المغول عام ٦٥٦هـ، وبذلك أصبحت الدولة الإسلامية العظمى المهابة في العالم دويلات صغيرة ممزقة، رغم كثرة عدد المسلمين في العالم الذي يزيد في العصر الحاضر على ألف مليون مسلم فإنهم ضعفاء أمام أعدائهم، وأكبر دليل على ذلك ما تقوم به شرذمة اليهود من تقتيل المسلمين، واحتلال ثالث الحرمين الشريفين، وكذلك ما فعلته الفئة الضالة من الصرب بتقتيل المسلمين وتشريدهم في البوسنة والهرسك، حتى وصل بهم الأمر إلى قتل الطفل أمام والدته، وإجبارها على الشرب من دمه، وكل ذلك لا يحرك ساكناً بين المسلمين غير الاحتجاج.

ولا شك أن هذا ابتلاء من الله للمسلمين، الذين انشغلوا ـ مع الأسف ـ بالدنيا عن الدين، وتمسكوا بالإسلام اسماً ـ والعياذ بالله ـ فلن تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو الإيمان بالله، والرجوع إليه، والتمسك بالكتاب والسنة قولاً وعملاً فقد قال رسول الله ﷺ، «قد تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك،

من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عَضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة، وعليكم بالطاعة وإن كان عبداً حبشيّاً، فإنما المؤمن كالجمل الأنف[1] حيثما قيد انقاد»[2]. فمتى كنّا مؤمنين حقاً، ونصرنا دين الله، ورجعنا إليه، واتبعنا كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ قولاً وعملاً، فإن الله ناصرنا ومؤيدنا على أعدائنا كما وعدنا في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾[3].

ونختم تلك الرسائل التي بعث بها رسول الله ﷺ إلى أولئك الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون السواد الأعظم من العالم في ذلك الوقت، والتي دعاهم فيها إلى دين الله، وردود الفعل على تلك الرسائل، بهذه الأبيات، من الثناء، على رسول الله ﷺ:

يكفيه عن كل مدح مدح خالقه ... واقرأ بربك مبدا سورة القلم

شهم تشيد به الدنيا برمتها ... على' المنابر من عرب ومن عجم

أحيا بك الله أرواحاً قد اندثرت ... في تربة الوهم بين الكأس والصنم

نفضت عنها غبار الذل فاتقدت ... وأبدعت وروت ما قلت للأمم

محابر وسجلات وأندية ... وأحرف وقواف كن في صمم

لن تهتدي أمة في غير منهجه ... مهما ارتضت من بديع الرأي والنظم[4]

---

(1) الأنف: قيل الذلول، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي، بيروت، دار الفكر، 75/1.

(2) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي 1385هـ/1965م، ج2، ص139.

(3) سورة محمد، الآية رقم (7).

(4) ناصر الزهراني، المصدر السابق، ص79.

obeikandl.com

أهداف ومميزات الدبلوماسية الإسلامية في العصور الأولى وتطورها حتى قيام الدولة السعودية المعاصرة

obeikandl.com

أهداف الدبلوماسية الإسلامية في العصور الأولى :

أسس النبي ﷺ دولته على أسس وقواعد ثابتة، نابعة من الأهداف والسياسة السامية التي جاء بها الإسلام، فعندما قدم ﷺ إلى المدينة المنورة، وبعد أن بنى مسجده الذي تخرج منه رجال حملوا الدعوة لينيروا بها العالم المظلم بجهله وشركه، كان من أهم أهداف سياسته: الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أساساً لإصلاح المجتمع وقد قامت دعوته ﷺ على الحكمة والموعظة الحسنة استجابة لقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ الآية[1].

ومن هذا الهدف تنبع أهداف سامية أخرى، منها:

1 ـ الدعوة إلى استعمال اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم.

2 ـ التآخي بين المسلمين.

3 ـ إصلاح ذات البين.

4 ـ التعاون لما فيه خير المجتمع.

5 ـ دعم السلام لصالح الدعوة إلى الإسلام.

6 ـ نشر الدعوة الإسلامية باللين والحكمة وجهاد من صد عن سبيل الله بالقوة.

7 ـ الفداء وتبادل الأسرى وحسن معاملتهم،لتلين قلوبهم للدعوة.

8 ـ الهدنة والصلح لما فيه خير المجتمع الإسلامي.

9 ـ المشاركة بالتهنئة في الأفراح، وبالتعزية في الأحزان.

10ـ الالتزام بالحقائق والصدق في جميع المعاملات.

---

(1) سورة النحل، الآية (125).

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف السامية اتبع النبي ﷺ سياسة الحكمة، وكانت أبرز الأحداث التي تمت في عهده ﷺ تلك المباحثات التي اتبعها الرسول ﷺ في الإصلاح والتآخي بين الأوس والخزرج، والتي عالجها بسياسة حكيمة ثم تلتها التعليمات التي وردت في صحيفة المدينة، وما تم في مباحثات الرسول ﷺ وقريش، في صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة، وما تبع ذلك من إرسال الوفود والسفراء الذين حملوا كتبه ﷺ إلى ثمانية من ملوك وأمراء العرب والعجم، الذين كانوا يسودون شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت، وكانت السفارة الوحيدة التي أرسلت إلى ما وراء البحر هي السفارة إلى النجاشي ملك الحبشة، وإن هذه السياسة السامية الحكيمة في معالجة الأمور مهما تعددت المواقف، وتنوعت الأحداث، هو ما عرف في الوقت الحاضر بالدبلوماسية الإسلامية، واسهمت الدبلوماسية الإسلامية في تحديد العلاقات مع جيران الدولة الإسلامية في العصر الأول، الذي كان عصر بناء وتأسيس، وكانت أول علاقة سياسية هي عند زيارة الخليفة الفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى بيت المقدس في سنة 15 هـ، وما تم في ضوئها من تحديد للعلاقة السياسية المنظمة بين الدولة الإسلامية الفتية، والدول النصرانية المجاورة في بلاد الشام ومصر.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية انطلقت من مبدأ الشمولية والعالمية، فإن فقهاء وعلماء المسلمين اختلفوا منذ القرن الثاني للهجرة، في تفسير الأساس النظري الذي يجب أن تستند إليه العلاقات الدولية والدبلوماسية، فبرزت عدة اتجاهات بالنسبة لتحديد القواعد القانونية

الدولية التي يجب أن تستند إليها العلاقات في حالة الحرب والسلم بين الدولة الإسلامية، وغيرها من الدول غير الإسلامية، ويمكن تقسيم تلك الاتجاهات على النحو الآتي:

الاتجاه الأول:

ينطلق هذا الاتجاه من مفهوم أن العلاقات الدولية بين المسلمين وغير المسلمين يحكمها مبدأ الجهاد والحرب المستمرة وأن الجهاد فرض على كل مسلم، وذلك بمقاتلة غير المسلمين حتى يدخلوا في الإسلام أو يدفعوا الجزية، وهذه الفئة من الفقهاء تقسم العالم إلى دارين: دار الإسلام، ودار الحرب أو دار الشرك. والعلاقة بين الدارين هي علاقة حرب مستمرة، حيث لا تعترف الدولة الإسلامية بسلطة أخرى غير سلطتها الشرعية الإسلامية، كما أنها لا تقر التحالف مع غير المسلمين.

الاتجاه الثاني:

ينطلق من وجود دارين: دار الإسلام أو السلام، ودار الحرب أو دار المخالفين. الدار الأولى تسودها أحكام الشريعة، وتمتد إليها ولاية المسلمين، أما الدار الثانية فهي تلك التي لا تمتد إليها ولاية المسلمين، ولا تسودها أحكام الشريعة الإسلامية، وهذا الفريق يقول: إن حالة الحرب مع المخالفين في دار الحرب هي القاعدة، وإن السلم هو حالة استثنائية مؤقتة من أجل التحضير والاستعداد للقتال أو الحرب.

والخلاف بين الفريقين هو: أن حالة الحرب مرتبطة بميزان القوى مع العدو، فإذا كانت القوة لصالح المسلمين فلا ينبغي وقف القتال أو

إجراء هدنة مؤقتة. أما إذا كانت القوة لصالح العدو أو المخالفين فلا مانع من الهدنة ووقف القتال، وهنا يبرز مفهوم الموادعة مع أهل الشرك، أو المخالفين، التي تعتبر نوعاً من الجهاد أو الإعداد له، وتكون الموادعة، إذن مرتبطة بمصلحة المسلمين، وبميزان القوى السياسي والعسكري، وأن الموادعة هي نوع من الأمان الاتفاقي[1].

الاتجاه الثالث:

ينطلق من تقسيم المعمورة إلى دارين: دار السلام ودار الحرب، وهو عكس الفريق الثاني، وهذا الفريق يعتبر أن السلام هو الحالة الأصلية، وأن الحرب هي حالة استثنائية لا تجيزها الشريعة الإسلامية إلا في حالة الدفاع ضد اعتداء أو عدوان على الدولة الإسلامية، وبهذا تصبح الدولة المعتدية في حالة حرب مع الدولة الإسلامية حتى ينتهي عدوانها، فتنتهي حالة الحرب معها، فالأصل الذي تقوم عليه العلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول هو السلام وليس الحرب.

الاتجاه الرابع:

ينطلق هذا الاتجاه في تحديده لأسس العلاقات الدولية من نظرية العالم الثالث أي وجود دار ثالثة هي دار الصلح أو دار العهد،إلى جانب دار الإسلام، ودار الحرب، وتنطلق وجهة نظر هذا الفريق من أن ثمة دولاً وجماعات إقليمية لا تدين بعقيدة الإسلام، ولكنها ترتبط بالجماعة الإسلامية بمواثيق للسلام أو بمعاهدات مودة، وهاتان الطائفتان من

(1) علي حسين الشامي: الدبلوماسية، نشأتها وتطورها، وقواعدها، ط1، بيروت، دار العلم للملايين 1990م، ص 76 ـ 77.

الدول المسالمة للدولة الإسلامية وجماعاتها في وقت السلم وفي وقت الحرب تمثل إلى جانب «دار السلام» و«دار الحرب» داراً ثالثة، هي «دار السلم» أو «دار الصلح»، وهذه الدار تضم الأقاليم التي ترتبط شعوبها بالجماعة الإسلامية بالمعنى الفقهي الإسلامي الدقيق، ورغم أنّ بعض الفقهاء يرفض هذه الدار الثالثة، فإن الفريق الذي يقول بها يستند في تبريره لها إلى عدد من الآيات القرآنية الكريمة منها قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

الاتجاه الخامس:

يعتبر هذا الاتجاه أن أساس العلاقات الدولية بين المسلمين وغير المسلمين يحكمه مبدأ السلام والوئام، وأن السياسة الخارجية للدولة يجب أن تقوم على مبدأين:

أولاً: مبدأ الدعوة السلمية إلى الإسلام.

ثانياً: مبدأ السلام الذي يجب أن يكون أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم، إلا إذا طرأ ما يوجب الحرب، كالعدوان والفتنة، والوقوف في وجه الدعوة خاصة باستخدام القوة، وبالتالي يلتقي هذا الفريق مع وجهة نظر الفريق صاحب الاتجاه الرابع الذي يقول بوجود دار ثالثة هي دار الصلح[2].

(1) سورة الأنفال، الآية (61).

(2) علي حسين الشامي، المصدر السابق، ص77 ـ 80.

التعريف بمصطلح الدبلوماسية:

نال مصطلح الدبلوماسية اهتمام الباحثين في العلاقات الدولية والقانون الدولي العام،وحرص هؤلاء على بيان أصل المصطلح ومدلوله عبر العصور. وكان من بواعث هذا الاهتمام بالدبلوماسية ما لها من أهمية في تاريخ الإنسانية والعلاقات الدولية[1].

ومهما قيل في التعريف بالدبلوماسية، فالملاحظ أنها علاقات سلمية رسمية بين الدول تتضمن عناصر ومقومات ومهام أساسية، منها التمثيل الدبلوماسي على هيئة إرسال السفراء والمبعوثين والرسل، وما يتمتعون به من الامتيازات والحصانة لدى الدول الأخرى، والنظام الخاص باستقبالهم، وكذلك ما يقومون به من أعمال ومهام. كما تشمل الدبلوماسية المراسلات، والمفاوضات، وعقد الاتفاقيات، والمعاهدات. ومن وسائل الدبلوماسية الضغط والتهديد، وتكوين الأحلاف، والمحاور السياسية، والاستعانة بوسائل التخابر السرية.

ولعل أبرز وصف في قواعد الممارسة الدبلوماسية، ما أثر عن الخليفة معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- أول خلفاء بني أمية، وأحد دهاة الحكام العرب قوله: «لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، إذا أرخوها شددتها، وإذا شدُّوها أرخيتها»[2].

---

(1) عمر كمال توفيق: الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1986م) ص 17ـ 18.

(2) جمال بركات: الدبلوماسية ماضيها وحاضرها ومستقبلها (ط1، الرياض، مطابع الفرزدق 1405هـ)، ص37.

ومهما تعددت تعريفات الدبلوماسية في الموسوعات والمعاجم، ولدى فقهاء القانون الدولي، ورجال الدبلوماسية وعلمائها، فإنها تلتقي على أصل واحد مشترك هو: أسلوب مباشرة العلاقات العامة، والعلاقات بين الدول بخاصة، ويشمل ذلك ما يكون من معاهدات على اختلاف أنواعها[1].

فالدبلوماسية في رأيي هي حُسن التعامل مع الآخرين، وإقامة العلاقات الطيِّبة المتينة، المبنية على الصدق والأمانة مع المجتمع الجديد الذي كلف الدبلوماسي بالعمل معه، والقيام بما فيه الخير والمصلحة و تحقيق الرسالة المطلوبة باتخاذ جميع الخطوات والوسائل الموصلة إلى ذلك.

صفات ومؤهلات الدبلوماسي:

عُرفت الدبلوماسية بتعريفات منها أنها اللباقة وحُسن التصرف، وإقامة العلاقات الحسنة بين المجتمع، ورعاية هذه العلاقات حتى تنمو لتحقيق الهدف المنشود. ويجب أن يتحلى الممثلون الدبلوماسيون بشتى الصفات الحسنة: صفات الكمال والفضائل، وأن يكون الدبلوماسي كيّساً طيب الحديث، لطيف المعشر، لين العريكة، يكتسب بسياسته عطف الأقوياء، وبحزمه السيطرة على القرناء والمرؤوسين، وأن يتميز بسرعة الخاطر، وقوة الحجة، عالماً بمخارج الكلام

(1) مناع خليل القطان: الدبلوماسية الإسلامية ومتغيرات العصر، (الرياض، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية، ندوة الدبلوماسية في المجتمع الدولي المعاصر، محاضرة ألقيت في الندوة بتاريخ 1412/8/12هـ الموافق 1992/2/15م)، ص3.

ومداخله، يدرك الأمور ويقدر نتائجها، كما يشدد أيضاً على المران والخبرة والتجربة التي تصقل كفاءات الممثل الدبلوماسي، وتوفر له المعرفة المكتسبة.

كما أنه يلزم للدبلوماسي صفات كثيرة، منها حُسن التصرف، واللباقة، وكسبُ ودّ الجميع، والحنكة، والوعي بعادات وتقاليد البلد الذي سيعمل فيه، حتى لا يقف مواقف محرجة له ولبلده الذي يقوم بتمثيله، وينبغي أن يتحلّى بالصدق، والحصافة النادرة، والألمعية، والذكاء، والبصيرة الوقادة، وقبل هذا كله الإستعانة بالله والثقة به. وينسب إلى الخليفة الراشد علي -رضي الله عنه- قوله:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده[1]

أما عن الصفات والمؤهلات التي سادت عند العرب فقد تركزت على رجاحة العقل، وقوة الحجة، والفطنة، والفصاحة، والبلاغة، والنسب، والصدق، والأمانة، والحلم وكظم الغيظ، والجرأة، والوقار، والبعد عن العادات السيئة.

وجاء في «أخلاق الملوك» المنسوب إلى الجاحظ قوله: ليكن الرسول صحيح الفكرة والمزاج، ذا بيان وعبارة، بصيراً بمخارج الكلام ووجوهه، مؤدياً لألفاظ الملك ومعانيها، صدوق اللهجة،لا يحيل إلى طمع، حافظاً لما حمل، وعلى الملك أن يمتحن رسوله طويلاً قبل أن يجعله رسولاً، وقال أحد الحكماء: الكتاب يد، والرسول لسان[2].

(1) عبدالعزيز الكرم، ديوان الإمام علي رضي الله عنه، قافية الدال، طبعة دار القلم، ص46.

(2) زكريا السباعي، أضواء على تاريخنا القديم، العرب والدبلوماسية، ص106 ـ 107.

فالمبعوث الدبلوماسي هو عين حكومته وأذنها ولسانها، لذلك فلابد أن يكون على درجة عالية من اليقظة، وحسن المظهر، وأن يتمتع بقدر كاف من الأخلاق الفاضلة، والهدوء، والرزانة، والصدق، والصراحة، وإقامة علاقة مع الدولة المضيفة تقوم على الثقة المتبادلة، وذلك لا يعني إفشاء أسرار حكومته، بل يحاول التخلص من الأسئلة المحرجة بلباقة، وعدم محاولة تضليل الآخرين، أو الكذب. لأن الكذب قد يؤدي إلى فائدة قصيرة الأمد، إذ إن الحقيقة سرعان ما تنكشف، ويجد الدبلوماسي الكاذب نفسه، وقد انهارت الثقة في حديثه، لا عند ضحايا الكذبة التي اقترفها بل عند جميع زملائه[1].

(1) محمد عمر مدني، العلاقات الدبلوماسية للمملكة العربية السعودية، ط3، الرياض، معهد الدراسات الدبلوماسية 1410هـ/1990م، ص 75 ـ 76.

obeikandl.com

تطور الدبلوماسية الإسلامية حتى قيام الدولة السعودية:

في العصور الإسلامية الأولى نمت العلاقات الدبلوماسية وتطورت منذ الأيام الأولى لعصر النبوة، حيث عمل الرسول ﷺ وشجع على إقامة الاتصالات والعلاقات مع سائر الدول والشعوب، من خلال إرسال البعثات أو السفارات والرسل إلى الروم والفرس وغيرهم من الملوك والأمراء من أجل شرح مبادئ الدعوة الإسلامية، والعمل على نشر الإسلام في أرجاء المعمورة كافة، ثم سار الخلفاء الراشدون على الطريق ذاته، مما زاد في عدد البعثات الدبلوماسية، ونمو العلاقات بين الدولة الإسلامية وجيرانها سلماً أو حرباً.

لقد برزت الدبلوماسية ـ كما ذكرنا ـ واستخدمت منذ القدم، وقويت منذ عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ فقامت الدولة بإرسال البعثات والرسل لأغراض عديدة، منها الدعوة إلى الدين الجديد، و العمل على حل النزاعات التي كانت تنشأ بين العرب وغيرهم بهدف تعزيز ميزان القوى لصالحهم، وحسر نفوذ الروم والفرس، ومنها بعثات عرض الصلح والمعاهدات مع الروم والفرس. واستمرت البعثات في النمو حتى شملت عدة دول، خاصة بعد قيام الدولة الأموية، حيث ازداد تبادل السفراء والرسل بين الروم ودمشق، فبرزت أيضاً المعاهدات مثل (معاهدات الصلح والسلام) التي عقدها الخليفة معاوية مع البيزنطيين عام 58هـ/ 677م، وكذلك معاهدة الخليفة عبدالملك بن مروان معهم عام 70هـ/689م. ولم يقتصر إرسال البعثات على الروم

فقط، بل شمل الهند والصين،كسفارة أو بعثة قتيبة بن مسلم في عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك عام 96هـ/714م إلى الصين، وسفارة عمر بن عبدالعزيز إلى الهند عام 100هـ/718م، وفي عام 108هـ/726م أوفد هشام بن عبدالملك رسولا إلى حاكم الصين، وتطورت العلاقات والصلات الدبلوماسية في العهد العباسي، وتعززت البعثات وتنوعت، وتعددت أغراضها ووظائفها، حيث أصبح تبادل الدبلوماسيين وسيلة لتوثيق الصلات التجارية، والثقافية، وتبادل الأسرى، وفضّ المنازعات، وعقد المعاهدات. فلقد أمر الخليفة المنصور بارسال سفارات إلى الروم، والفرنجة، وكذلك فعل الخليفة هارون الرشيد الذي أرسل في سنة 170 ـ 193هـ / 786 ـ 807م وفداً من أجل تعزيز العلاقة الدبلوماسية مع شارلمان ملك فرنسا[1]. وكانت هذه البعثات بغرض الدعوة إلى الإسلام، أو أخذ الجزية، حيث استخدمت الدبلوماسية الإسلامية منذ تلك الفترة بديلا للحرب، أو مساعداً لها.

بداية التمثيل الدبلوماسي الدائم:

بدأ تحول البعثات الدبلوماسية من بعثات مؤقتة إلى بعثات دائمة نتيجة مجموعة من الظروف، كان من أهمها الأحداث الآتية:

أولاً: فتح القسطنطينية، و نشر الإسلام في آسيا الصغرى ومعظم بلدان شرق أوروبا، وزوال الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وتكوين دولة إسلامية كبرى هي الدولة العثمانية.

(١) علي حسين الشامي: الدبلوماسية، مصدر سابق، ص٨٤ ـ ٨٥.

ثانياً: محاولة البرتغاليين والأسبان الاعتداء على العالم الإسلامي ونهب خيراته، والتنكيل بالمسلمين في الأندلس وشمال أفريقيا، وقيام الدولة العثمانية بضم البلاد العربية في محاولة لصد الخطر الصليبي عنها بعد ضعف دولة المماليك، نتيجة لانهيار اقتصادها بعد محاصرة الأسبان والبرتغاليين للمنافذ البحرية.

ثالثاً: قيام الدول الكبرى، كفرنسا وانجلترا، منذ أواسط القرن الخامس عشر الميلادي، وما تبع ذلك من تنافس بين هذه الدول على صدارة المجتمع الأوروبي عن طريق احتلال مستعمرات كبيرة في أفريقيا وآسيا ونهب مواردها.

رابعاً: اكتشاف القارة الأمريكية، وتسابق الدول الأوروبية كل من ناحيتها للاستئثار بأقاليم القارة الجديدة ومواردها، وبسط نفوذها عليها.

خامساً: الحروب الكبرى التي قامت في غرب أوروبا،كحرب المائة عام[1] وغيرها من الحروب نتيجة للصراع بين السلطتين الدينية والسياسية.

نتيجة لهذه الأحداث، وازدياد المشاكل بين الدول أصبح لزاماً أن يكون هناك اتصال سياسي مباشر بين هذه الدول والدول المجاورة، لحل هذه المشاكل، وبدأت بذلك البعثات الدبلوماسية الدائمة المعروفة بالسلك الدبلوماسيّ أو السفير المقيم.

ومع تطور الأوضاع والأحداث، بدأت التغييرات تتسارع نحو العمل بقواعد جديدة، فبدأت العلاقات والممارسة الدبلوماسية تتأصل،

(1) حرب قامت بين فرنسا والنمسا في 1 مارس 1815م.

خاصة في الوقت الذي بدأ العمل فيه يجري للانتقال نحو اعتماد مبدأ التمثيل الدبلوماسي الدائم، حيث عمدت كل من أوروبا الغربية والشرقية إلى السير في ركب عصر البعثات الدبلوماسية الدائمة، وإقامة السفارات وانتشارها منذ القرن السابع عشر الميلادي[1].

وأخيراً أود هنا الإيضاح وتبيان ما ورد عن الفرق بين الدبلوماسية في بداية ولادتها، وما حصل لها من نمو وتطور نتيجة توفر وسائل الاتصالات الحديثة. فإذا كانت الدبلوماسية القديمة تتميز بأنها دبلوماسية متجولة وغير منتظمة وبالتالي محدودة جغرافياً، نظراً لضعف وسائل الاتصالات والمواصلات، فإن الدبلوماسية الحديثة التي بدأت من العصر الحديث، تتميز بأنها دبلوماسية دائمة ومستقرة وثابتة، وبعد تبادل البعثات الدائمة، أصبحت الدبلوماسية مهنة وسلوكاً قائماً بذاته يعتمد على قواعد وأصول ثابتة، وبذلك يمكن تقسيم المراحل التي مرت بها الدبلوماسية إلى ثلاث مراحل كالتالي:

1 ـ مرحلة البعثات الدبلوماسية القديمة، ومنها بعثات الدعوة إلى الإسلام، وبعثات عرض الصلح وأخذ الجزية وإبرام المعاهدات، وإرسال السفارات وتبادل السفراء،حيث حلت الدبلوماسية في بعض الأحيان محل الحرب، ومع تطور العلاقات والصلات بين الدول أصبح تبادل السفراء وسيلة لتوثيق الصلات التجارية والثقافية، وتبادل الأسرى، وفض المنازعات.

2 ــ مرحلة الدبلوماسية الحديثة التي بدأت مع العصر الحديث،

(1) علي حسين الشامي، مصدر سابق، ص92.

وبالتحديد منذ مطلع القرن العاشر الهجري أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وحتى الحرب العالمية الأولى، وقد تميزت بأنها دبلوماسية ثنائية وذات طابع سري في أغلب الأحيان، أي أنها الدبلوماسية السرية التي تهدف إلى تحقيق أغراض ومصالح معينة، وخاصة إذا كانت هذه الدبلوماسية تتعلق بالدول الاستعمارية الكبرى، فأهدافها الظاهرة غير الباطنة.

3 ـ مرحلة الدبلوماسية المعاصرة، التي بدأت منذ الحرب العالمية الأولى حتى وقتنا الحاضر، وقد تميزت بأنها دبلوماسية متعددة المجالات والأغراض، ولذا فهي في الغالب دبلوماسية علنية وعالمية تخضع لبروتوكولات معينة وتتأثر بالقانون الدولي العام والمنظمات الدولية، وهي دبلوماسية مفتوحة، علنية أو مكشوفة.

ومهما قيل حول دبلوماسية البعثات، أو الدبلوماسية السرية، أو الدبلوماسية العلنية، فإن موضوع أي دبلوماسية وأهدافها تبقى مرتبطة بأهداف السياسة الخارجية، التي أصبح الإعداد لها والإشراف عليها يجري في الوقت الحاضر ضمن المبادئ العامة وتأثيرات القانون الدولي والمنظمات الدولية، والرأي العام، بشكل أو بآخر، وهذا ما جعل الإشراف على السياسة الخارجية، وبالتالي الأسلوب الدبلوماسي، ميزة وسمة للمرحلة الجديدة، التي بدأت بعد الحرب العالمية الأولى، وما زالت مستمرة حتى الآن، وربما ستستمر بعد ذلك.

وكانت هذه الميزة قد تركزت من خلال ظهور المنظمات الدولية التي قررت في قانونها الدولي ضرورة تسجيل كل معاهدة والتزام دولي.

واحترام المواثيق والمعاهدات لكل عضو في تلك المنظمة، وخاصة منظمة هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة دول عدم الانحياز. وهذا المبدأ هو ما ورد في المادة (152) من ميثاق هيئة الأمم المتحدة. وهذه المنظمة الدولية التي بدأ ظهورها عام 1364هـ/1945م وشجعت الأخذ باسلوب الحوار والتفاوض في إطار ممارسة الدبلوماسية العالمية، حيث تكللت محاولتها بالنجاح، وتوج هذا العمل بصدور اتفاقية فيينَّا للعلاقات الدبلوماسية عام 1380هـ/1961م، التي تحدد مفهوم العلاقات الدبلوماسية. وإذا أردنا تحديد بداية التمثيل الدبلوماسي السعودي، فإنه قد بدأ عام 1344هـ/1925م، عندما أنشئت شعبة خاصة للشئون الخارجية مقرها مكة المكرمة، ثم صدرت إرادة ملكية في شهر رجب 1349هـ الموافق نوفمبر 1930م، بتحويلها إلى وزارة للخارجية، وعين الملك فيصل ـ رحمه الله ـ أول وزير خارجية للمملكة.

ويوجد للمملكة حتى عام 1428هـ/2007م (85) سفارة، و(14) قنصلية، و(3) وفود، و(2) مكاتب تجارية ليكون مجموع الممثليات (104) مائة وأربع ممثليات في الخارج[1].

كما يوجد بالمملكة واحد وتسعون سفارة وأحد عشر سفيراً غير مقيم، واثنتان وأربعون قنصلية، وتسعة وثلاثون قنصلاً فخرياً، وثمانية عشر مكتباً للمنظمات والهيئات الدولية، ليكون الجميع مائتي ممثلية وواحدة معتمدة بالمملكة[2].

---

(1) المملكة العربية السعودية، وزارة الخارجية، المراسم، دليل ممثليات المملكة العربية السعودية في الخارج (الرياض، 1428هـ/2008م).

(2) المملكة العربية السعودية، وزارة الخارجية، المراسم، القائمة الدبلوماسية، 1428هـ/2008م، ص17 - 30.

وقد تبنى الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ لتوسيع العلاقات السياسية مع مختلف دول العالم طريقة هادئة ومستمدة من ثوابت عربية وإسلامية تدعو إلى السلم، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة أخرى. لذا اشتركت المملكة في عهده في منظمتين دوليتين، هما:

1ـ جامعة الدول العربية:

التي تم إنشاؤها بتاريخ 8 من ربيع الآخر 1364هـ الموافق 22 مارس 1945م وذلك إثر الزيارة التي قام بها الملك فاروق ـ ملك مصر ـ إلى الملك عبدالعزيز في رضوى يوم 10 من صفر 1364هـ الموافق 25 يناير 1945م[1].

2ـ هيئة الأمم المتحدة:

بتاريخ 21 من ربيع الأول 1364هـ الموافق 7 مارس 1945م تم الترحيب بانضمام المملكة العربية السعودية إلى عضوية الأمم المتحدة، وبذلك أصبحت المملكة العضو الخامس والأربعين في المنظمة الدولية.

وقد حضر الأمير فيصل وزير الخارجية آنذاك (الملك فيصل ـ رحمه الله) مؤتمر التوقيع على العضوية بتاريخ 13 من جمادى الأولى 1364هـ الموافق 25 إبريل 1945م، وقام سموه بالتوقيع على انضمام المملكة للمنظمة، وألقى كلمة قال فيها: «إن الحكومة العربية السعودية لتنضم إلى الأمم المتحدة في تصريحها القائل بأن مبادئ السلم

(1) للمزيد من المعلومات حول دور المملكة في الجامعة العربية، انظر ج2، ص802.

والعدالة والحق يجب أن تسود أنحاء العالم، وأن العلاقات الدولية يجب أن تقوم على هذه المبادئ، وإنه من دواعي اغتباطي العظيم أن أقول: إن هذه المبادئ تطابق تعاليم الدين الإسلامي الذي يعتنقه 400 مليون مسلم في العالم، وهي التعاليم التي اتخذت الحكومة السعودية منها دستوراً تسير على هديه، ولا غرو فإن الإسلام قد أقام العلاقات البشرية على قواعد الحق والعدالة والسلم والإخاء»[1].

وسوف نعطي هذا الموضوع حقه من الدراسة الوافية في الفصل الخاص بالدبلوماسية السعودية وتطورها، منذ عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ وذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(1) خيرالدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1988م، ص278ـ280.